

من مشاهد الشرق

١ - طائفة البهرا في الهند

ومجالسهم في عربده

بقلم محمد نزيه

منذ عنيت الصحافة المصرية بأبناء الهند ، وهي تذكر عن مكاتبها في تلك البلاد النائية جماعة البهرا وشيخ البهرا بكثير من الاجلال والعتابة ، ولقد طالما رأيت مذ شهدت الشيخ ومسست حياة جماعته أيام رحلتي في الهند أنهما حقيقان بعمدة فصول تجمع الى طرافتها فائدة التعريف بجماعة من جماعات الاسلام لها خطرهما في الهند ، على الرغم من أنها قليلة العدد لا يكاد أفرادها يجاوزون الثلاثة ألاف هندي مسلم ، إلا أن التماسهم أرق وسائل التماون وأجدي أسباب الارتباط قد أخذهم عما يراد بالسكرة من قوة وعتاد

والبهرا طائفة من طوائف الشيعة يطلق عليها في العربية اسم (الشيعة الداودية) نسبة الى رئيسها الأول ، وقد كان باليمن ثم انتعى به المزم الى الهند ، فخط الرحال في حجة من أتباعه بمدينة بكرات ، على ساعات بالقطار من (بمبي) ، منذ نيف ومائة سنة ، وبمبي إذ ذاك في عالم الغيب

وإذا كانت جماعات الشيعة قد عرفت بأوضاعها الخاصة وتقاليدها المستقلة في الدين والاجتماع ، فإن شيعة البهرا أو شيعة الداودية قد عرفت في جماعات الشيعة نفسها بمقائد وتقاليد تدير حولها سياجاً يفصلها عن غيرها فصلاً تاماً ؛ فهي تعتقد أن المهدي المنتظر سيكون من سلالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وتذهب إلى تخصيص فرع معين من فروع الدوحة النبوية ، على أن المهدي سيكون من نمره ، أو على أن نبوة المهدي تكمن فيه ، وهي إذ كانت لا تعرف موعد ظهور الرسول الجديد ، لانفتاح منتظره دون تمجيد ولا ملالة ، وتمثله في واحد من الأحياء

الذين ينتظمهم هذا الفرع الممين ، فإذا حان حينه فقد استخلف على رسالة المهدي وريثاً من أبنائه ، وما تزال أمانة النبوة تنتقل في صندوقها المقفل من وريث إلى وريث ، ومن عصر إلى عصر ، حتى يتهاى الزمن لاستقبال هذه النبوة الجديدة ، وحتى يرى الله أن قد استفحل الضلال فلا مناص من إيقاظ الدنيا ، فيأمر فإذا بصاحب الصندوق قد فتحه وأصاب فيه عدة النبوة وخاعها ، وإذ ذاك يظهر المهدي المنتظر . أما هذا الذي تكمن فيه نبوة المهدي ، فيظل نكرة لا يعرف سره من الناس إلا الشيخ الأعلى لجماعة البهرا ، يجتمع به كل ليلة في خلوة مهيئة بالسجد الخالص ، وما يزال هذا أمره حتى يقبل اليوم الذي يسفر فيه للناس

وشيخ البهرا هو همزة الوصل بين المهدي المنتظر وأتباعه ، وهو مستودع سره ومشار نجواه ، يستشير ويستلمه ويخرج بتعاليمه على الناس ؛ وأما الطائفة فنشر الدعوة إلى المهدي المنتظر ، وتنشرها بأن تزين مبادئها للناس ، وما تزال ماضية في مهمتها حثيثة السير حيناً ووثيدته حيناً حتى يدخل السلطنون جميعاً في طائفة البهرا ، يقدسون مذهبها ، ولا يحميدون عن عقائدها

وشيخ البهرا في العالم هو اليوم مولانا طاهر سيف الدين ، وهو الذي يقيم على جماعاتها في كل بلد توجد بها شيخاً من قبله يأتمرون بأمره وينتهون بنواهيها - وقد رأيت أول من رأيت من أولئك الشيوخ ، في عدن ، بعد أن علمت أنه من أجل أهل الاقليم مقاماً ، ومن أرفعهم شأنًا ، فإذا رجل يحف به الوقار ، ويتهلل وجهه الذي استتر نصفه خلف لحيته البيضاء ، بالبشاشة والأنس ، حديد البصر ، أخضر الأحداق ، أبيض اللون ، نحيل الجسم بعض النحول ، يستر رأسه بعمامة بيضاء وينتم عن سنين أو ثلاث في فمه ، فقد بلغ بالسنين مبلغ الشيوخ - ولعل أبرز ما في الشيخ لحيته الطويلة ولسانه العربي المبيت : أما لحيته فكأنها قطن منق ، يتفرق على صدره خصللاً رقيقة منفوشة ، إن تكلم اهتزت أطرافها ، واتبعت في اهتزازها حركات فمه ، كأن بين لسانه ولحيته سلة من فضل ومن وقار . وكأنما عاهد الشيخ نفسه على ألا ينطق بغير العربية الفصحى ، فاسمعه

يسيرة حتى مد المتطوعون للعمل من أبناء الطائفة سُحطاً طويلاً من فاش أبيض على أديم السكان ، ثم صفوا فوثها أطباقاً رحيبة من الليف ، وثبتوا على كل طبق قاعدة إسطوانية جوفاء ترفع أخوة الطعام

انتظم المدعوون حول الوائد ، وكنت في مائدة الشيخ ، فلم نلبث أن توسط خواننا إناء صغير من البلور فيه ملح مجروش يضرب إلى الاحمرار ، ولقد مائت جميع الأخوة خواننا فيما عليه ، ولم يعسر على أن أدرك أن لا بد للتقاليد البهريّة من نصيب فيما يحتوي عليه هذا الإناء ، ولم أتبين أنه الملح ، وحرك الفضول يدي فتناولت أصابعي حصوات منه ، فلم تسكد تبلغ فني حتى أحسست كأنما معنى عقرب

وقال الشيخ في صوت جهير بمد البدء بسم الله الرحمن الرحيم ، وهو يضع سبابة يمناه وإبهامها في الإناء : « ليكن الملح قاتمة طعامنا حتى يكون بيننا » فإذا أجمع كله يذوقه ويجيء بجفان الأرز فكانت تقلب في الخوان جفنة تلوجفنة حتى اكتظت على سمنه ، ثم حملت صحاف الأطمعة إلى الشيخ ، فكان يتناولها ويضعها بين يديه تحت المائدة ، ثم يتولى سكب ما فيها على الأرز واحدة بمد واحدة ، بين برهة وبرهة ، وهو لا يتقأ يذكر الله ويذكر باسمه كلما فعل ، فأما حرصه على أن يضع الطعام بيديه بين أيدي الطاعمين فلمل سببه أن أبناء طائفته يلتصمون في ذلك خيراً وبركة بل لقد خيل إلى أنني أجد ما يلتصمون كلما رأيت الشيخ يخرج مما بينه وبين المائدة صحافاً من الطعام كان يشغلي ما أنا فيه ، وربما شغل غيري عن رؤيته وهو يتناولها من الخدم المتطوعين وكأنما كانت بسملة المرتفعة الرهبة التي تصاحب يديه كلما ارتفعتا وبينهما لون من ألوان الطعام في طريقه إلى الأرز ، توحى إلى الناس أنه يستنبتة مما بينه وبين المائدة ، وكان الطاعمون جميعاً يتناولون الأرز بأصابعهم إلا من طلب اللعقة من خاصة الضيوف

وما إن فرغنا من الطعام حتى عاد الناس إلى مجالسهم صفوفاً وطيف عليهم بأباريق الماء ففصلوا أيديهم ، ثم بالمشاف جففوها ، وصرت دقائق معدودة ، ثم أقبل الخدم يعمرون بين الصفوف ينزرون عليها ماء الورد ، ويبدون بمد زجاجات من عطر عربي فيأح ،

الناس متكلاً إلا بها ، وقد حاسب نفسه على الضمة والفتحة حساباً عميراً

ولقد كنت في جملة من دعائم الشيخ إلى مأدبة عشاء أقامها في دار البهرا بعدن ، وهي من أنعم دور المدينة وأكثرها أناقة ، تجمع بين منزل الشيخ والمسجد الخاص الذي لا يصل فيه غير البهرا ، ولا تصح صلواتهم في سواه . والشرفة الفيحة التي يستقبل الشيخ فيها زواره ، تحف بها حجرات كثيرة أعدت لشؤون الطائفة ، وقد بنيت هذه الدار على نفقة (البهريين) المقيمين في عدن ، وعدمهم لا يجاوز الألف ، كلهم ملتحمون

كانت الشرفة الرحيبة التي هيئت ليستقبل الشيخ فيها ضيفه مفروشة بالحصير ، وفي صدرها صفت الوسائد إلى الجدار ، واتكأ على أوسطها صاحب الناز ، ويطلق عليه في أساليب (البهرا) اسم (الداعي) لأنه أحد هؤلاء الدعاة المديدين الذين يكمل الشيخ الأكبر إلى نشاطهم البار ، وذكائهم الخلاب أمر الدعوة إلى اعتناق هذا المذهب من مذاهب الشيعة في جهات كثيرة من أنحاء العالم ، فكان الرجل لا ينهض من مجلسه إلا ليستقبل المدعوين من غير جماعة (البهرا) بينما يقبل المدعوون من هذه الجماعة وفيهم من يدخلون في وجوه عدن وخير تجارها ، فيقدمون على الشيخ وهو مستز في مجلسه ، حتى إذا صار كل منهم قيد خطوة منه انحى كأنحاء المصل ، وكاد يلمس الأرض يمينه ، ثم دفعها إلى مفرقه ، وتراجع إثر ذلك إلى مجلسه من المكان

وطفق الشيخ يتحدث إلى خاصة مدعويه وأقربهم إلى مجلسه ، وهو لا يفتر عن رعاية المدعوين جميعاً ، يقسم بينهم بشاشة عيانه ، ويلقى عليهم من نظرات عينيه أشعة تحمل في حرارتها معاني الشكر والترحيب والرعاية ، وإنك لتنظر إلى هاتين العيينتين تلمح في إشارتهما عواطف الحذب والرفق والاشفاق

اكتمل المدعوون عدا في أربعة صفوف طوال ثم دار اثنان أو ثلاثة من البهرا بأباريق الماء بين الصفوف يصبون منها على الأيدي ، وفي إثرهم حملة المناشف ، وفي دقائق معدودة غسلت الأيدي جميعاً ، ونهيا القوم لاستقبال الطعام . وما هي إلا برهة

وزارة المعارف العمومية إعلان

تعين وزارة المعارف أنها ستوفد هذا العام سنة ١٩٣٥ بعثة علمية من أربعة أعضاء للتخصص في اللغة الانجليزية لمدة سنتين بالجلترا وذلك لاعدادهم لتدريس اللغة الانجليزية بالمدارس الثانوية

ويشترط للترشيح للبعثة المذكورة :

- ١ - أن يكون المرشح حاصلًا على دبلوم المعلمين العليا الأدبية أو معهد التربية العالي
- ٢ - أن يكون ممن مارسوا التدريس بمدارس الوزارة
- ٣ - أن يكون حاصلًا على ٦٥ ٪ على الأقل من مجموع درجات امتحان الدبلوم
- ٤ - أن يجتاز بنجاح امتحان المسابقة التحريري الذي سيعقد بمدرسة التجارة العليا في الساعة الثامنة من صباح يوم الاثنين ٥ أغسطس سنة ١٩٣٥ فيما يأتي :
الانشاء الانجليزي - مبنى اللغة ومصطلحاتها -
الترجمة الى اللغة الانجليزية - وأن يحصل فيه على ٧٠ ٪ على الأقل من النهاية العظمى للدرجات وعلى ٦٠ ٪ على الأقل في كل فرع على حدة
- ٥ - أن يجتاز اختباراً شفويًا في المطالعة والمحادثة الانجليزية يتبين منه حسن استعداده لهمة تدريس هذه المادة وأن يحصل فيه على ٧٠ ٪ على الأقل من النهاية العظمى لمجموع الدرجات

وسيراعى في الاختيار نتيجة الامتحان التحريري والاختبار الشفوي وتقارير حضرات النظار والمفتشين ، فلي من يرغب في التقدم للاسحاق بهذه البعثة أن يقدم طلباً على الاستمارة المدموغة المعدة لذلك . ويمكن الحصول عليها من مخازن وزارة المعارف بدرب الجاميز بالقاهرة نظير دفع مبلغ ثلاثين ملياً . وترسل بعد ملئها مسجلة بطريق البريد إلى حضرة صاحب المعالي رئيس لجنة البعثات بوزارة المعارف على الأيتاخر ورود الطلبات عن يوم ٢٠ يولييه سنة ١٩٣٥

فتمتد الأيدي ، وتنال كل كف حظها منه ، وفي إثر هذا وذاك يحضى حملة البخور في طريقهم وهم يديرون أوانبها حول الرؤوس ثم يدخلونها تحت الأتواب ، فيتصاعد بخار المسك والعود من فتحاتها . . . ونم شيء اسمه (التنبيل) وهو ورقة شجرة هندية تعرف بهذا الاسم ، تطوى على مزيج من توابل مرة المذاق جميلة الرائحة ، يقال إن بينها نوعاً مخدراً ، يمر بهذا التنبيل بين الصفوف رجال من الهرا ، فيحبون كل مدعو بوحدة إلا من رفض ، فما إن يطبق المرء عليها فكيه حتى تروعه منها مرارة بالغة ، ولقد روعتني أكثر مما روعتني ملححة الملح ، فتلفت أبحث عن وسيلة للخلاص منها ، ولما لم أجد حثت أسنان على مضغها حتى أستطيع ازديادها ، وإن هي إلا دقيقة أو بعضها حتى خفت وطأتها على لساني ، وما فتئت تحف حتى زالت ، وهي تررد بعد ذلك فتعطر بها روائح الأفواه ، وتطيب أنفاسها . وغادرتا دار الشيخ وفي أتوابنا شذى المسك ، والعود ، وفي وجوهنا عير ماء الورد ، وفي أكفنا نفع الطيب ، بل وفي أفواهنا أريج القرنفل . . .
هكذا ما لسنانيسيا ريفياً من نسائم الجنة ، يحضى في طريقه فيهمس في آذان أهل الأرض بما ينقله عن أهل السماء

ولقد كان لي مع الشيخ بعد ذلك في مجالس آخر حوار لعله لم يسفه ، ولم يقبل على الاشتراك فيه راضياً ؛ فقد كنت أتبين رغبته عنه في سموية خلال أدبه الجم . . . ولكن طالب العلم من السفر حريص على أن يطل بعقله على كل ماعسى أن تراه عيناه ؟

محمد زهير

القاهرة

إعلان من الرسالة

- (١) لا تنشر الرسالة إلا ما كتب لها خاصة
- (٢) لا تنشر الرسالة المقالات المسلسلة إلا إذا أرسلت إليها المسلسلة كاملة
- (٣) لا تنشر الرسالة قطعة مترجمة ما لم يرسل أصلها معها